

ج.ع.م.

رسالة القاهرة من سامي خشبة

قصيدة نزار قباني

في لحظات الخطر التي تتعرض لها مسيرة الثورة بالهزيمة او يفقد قائد النضال وسط المعركة ، قد تتعرض عقائد الثورة الاساسية للتشكيك والتحقير من جانب اعدائها واصدقائها المزيين على السواء . ان مدائح اصدقائنا تطربنا ، وتشجعهم يشد من ازرنا بغير جدال ، ونحن في حاجة الى معوتهم دائما ، ولكن تقدمنا متوقف بالدرجة الاولى على وضوح رؤيتنا وعلى تفرقتنا الحاسمة بين الاصدقاء الحقيقيين وبين الاعداء الحقيقيين وبين الاعداء المزيين والاصدقاء المزيين ايضا .

وفي غمرة الحزن الذي جمل قلوبنا على فقد القائد في خصم المعركة ، وفي غمرة الحماس العاطفي الذي يريد ان يؤكد الاصرار على الاستمرار في طريق قد تتسلل كلمات التشكيك والتحقير مشربلة بنفس غلالة الحزن والحماس الصفيقة التي ينبغي الاتخذنا ، وهي بالفعل لا تخدع احدا . وربما كانت مراسم «الحزن» التقليدية مانعا لنا من التصدي لمثل هذه المحاولات . ولكن حزن الثوريين حزن ثوري ايضا وهذا هو ما اثبتته جماهير شعبنا . انهم اذ يحزنون على فقد قائدهم يعلنون عزمهم على التقدم في طريقه ، ويملنون ان مضاعفة «عملهم» هو السبيل الوحيد لتعويض فقدته . ولقد كان عملهم دائما تحت قيادته نضالا ضد محاولات/تحقير الشعب وازدراء جهوده واخلاصه لفضيئته وتضليله بهدف استمرار استعباده واستغلاله . وربما كانت مواجهتنا لمثل تلك المحاولات جزءا من ذلك العمل النضالي الذي يعد جزءا من حزننا على القائد الفقيده وسبيلا لتعويضه في نفس الوقت .

وقد كانت قصيدة الشاعر نزار قباني بعنوان «جمال عبد الناصر» مثلا نموذجيا لحمولات التشكيك في مبادئ جمال عبد الناصر نفسه وفكره وتحقير الشعب العربي الذي آمن به وسار وراءه وتشويه الحقيقة التي كانت الملايين العربية ترسمها في ارجاء الوطن الكبير . لقد نشرت قصيدة نزار قباني في مصر ، وسوف اسمح لنفسى بان انقل الى قراء «الأدب» هنا مقالا لكاتب هذه السطور نشر في جريدة «المساء» القاهرية (الخميس ، 15 أكتوبر ، 1970) ، ليس تعليقا على قصيدة نزار ، فهي في حد ذاتها لا تستحق التعليق ، وانما تعليقا على ذلك الخطر : خطر التشكيك في عقائد الثورة العربية التحريرية التي قادها جمال عبد الناصر والتي ما زالت تسترشد وسوف تظل تسترشد بافكاره ومبادئه حتى تحقق الاهداف التي رسمها لها بنفسه : وحدة الوطن العربي وتحريره من كل اشكال القهر والتخلف واطلاق خطواته على طريق التقدم الانساني في كل مجالاته . وقد نشر المقال بعنوان «العروبة ، بين الاعداء والاصدقاء المزيين» .

«حينما قاد جمال عبد الناصر ثورته في مصر ضد الاستعمار

والمكبة والاقطاع الزراعي والاستغلال الرأسمالي ، كان بقود ثورة وطنية مصرية او الحلقة الاخيرة من الثورة الوطنية في مصر التي حققت الاستقلال وحررت وجودنا الوطني من معوقاته السياسية والاقتصادية لكي تبدأ طريق التقدم الطويل . ولكن الثورة الوطنية المصرية كانت بحكم التاريخ وبصورة موضوعية جزءا لا يتصل عن الثورة الوطنية العربية ضد الاستعمار القديم والجديد ، وضد أنظمة الحكم العميلة والطبقات المتواطئة مع الاستعمار والمستعبد من وضعها كسماسة لتوزيع منتجاته في اقطارها وضد الاحزاب السياسية الطامحة الى مشاركة الاستعمار تعبيرا عن الطبقات العميلة في حكم بلادها في ظل السيطرة الاستعمارية والتخلف الاقتصادي والسياسي والثقافي .

كانت ثورة عبد الناصر جزءا موضوعيا من الثورة الوطنية العربية في العراق وسوريا وفي السودان وليبيا وفي المغرب وتونس والجزائر واليمن . وكان جوهر الوعي السياسي في ثورة عبد الناصر انها حولت الارتباط الموضوعي بين اجنحة الثورة العربية الوطنية الى ارتباط عملي وواع . كان عبد الناصر يقول ان تحرر الجزائر من السيطرة الاستعمارية . ان تحرر العراق او اليمن انما هو تدعيم لحرية مصر . وان تحرر مصر او السودان انما هو دعم لثورة التحرر الوطني في كل بلد عربي اخر . ولذلك لم تتردد ثورة عبد الناصر في اعلان اكتشافها لوحدة الثورة الوطنية على مستوى الوطن العربي كله . ولم تتردد في اعلان اكتشافها لخصوم هذه الثورة : الاستعمار القديم والجديد والطبقات والانظمة السياسية المتواطئة معها والمستفيدة منها . ولم تتردد في تقديم الدعم العملي لكل اجنحة الثورة الوطنية العربية في كل قطر عربي ولم تتردد في اعلان موقفها من الاعداء والاصدقاء ولم تتردد في اعلان تحديدها لاولويات الصداقة والعداوة . فكل ما يؤدي الى تدعيم الثورة الوطنية ضد العدو الاول وهو الاستعمار بأشكاله المختلفة لا بد من الاستفادة منه الى اقصى طاقاته ، وكل ما يؤدي الى اضعاف النضال الوطني ضد هذا العدو لا بد من بتره دون رحمة .

كان الموقف النضالي العملي اذن هو ما امد عروبة الثورة الوطنية المصرية بأساس ارتباطها المادي بالثورة الوطنية العربية الشاملة . وكان الترابط النضالي بين اجنحة الثورة الوطنية العربية في ساحات النضال الفعلي هو الاساس المادي لتحقيق مفهوم العروبة ونقله من مستوى المشاعر الى مستوى المصالح والايمان ولايقاظ القومية العربية ذات المحتوى الانساني والوطني والتقدمي . لم تكن العروبة شعارا ولم تحفظ فكرة القومية العربية داخل مملكات الخطب المنبرية والقوائد الحماسية ، ولم توضع شروط طوباوية عن ضرورة وحدة العرب ايا كان موقفهم السياسي او نوعية مواقفهم من الاستعمار ولم تتجاهل ثورة عبد الناصر الوطنية كل المعوقات التي تمنع تعريف الثورة الوطنية وتحويلها من اجنحة اقليمية منفصلة الى ثورة قومية شاملة .

ولذلك فحينما يأتي شاعر عربي «الجنسية» ليرثي جمال عبد الناصر بسبب العروبة دون ان يحاول ان يستفيد شيئا من عبد الناصر نفسه ولا من قدرته على التمييز بين القوى الثورية العربية وبين العملاء العرب الماديين للثورة العربية ذاتها ، فان هذا الشاعر في الحقيقة ، وفي حالة التسليم بحسن نواياه ، لا يفعل شيئا اكثر من

ان يذرف دمعة غبية يبكي بها شيئا اخر غير المعنى الذي جسده عبد الناصر للثورة العربية . ان نزار قباني في قصيدته «جمال عبد الناصر» لا يرثي جمالا ولا يكشف اعداء جمال كما قد يتوهم البعض ، وانما هو يرثي جمالا بسبب العروبة التي آمن بها جمال واستشهد في معركة من معاركها الكثيرة التي خاضها . ان نزار يدعم في قصيدته كل ما عاش جمال من اجل ان يهدمه ، وهو يشوه كل ما قضى جمال عبد الناصر سنوات حياته وثورته من اجل ان يجلو قساماته ويضعها واضحة دون لبس امام عيون شعبه وعيون العالم .

حينما يقول نزار قباني :

سفيناك سم العروبة حتى شبعت

أربناك غدر العروبة حتى كفرت

لماذا ظهرت بأرض النفاق ، لماذا ظهرت ؟

حينما يقول نزار قباني هذا الكلام فانه يتحدث عن عروبة وهمية غير تلك العروبة الثورية الوطنية التي كان جمال عبد الناصر يعرفها ويجلو وجهها ويخاطبها ويجمع صفوفها في ساحات النضال . ليست هناك عروبة واحدة مطلقة مجردة يمكن ان تكون سامة او غير سامة او غادرة او منافقة . هناك عشرات الملايين من ابناء الشعب العربي المعادي للاستعمار والصهيونية والتخلف والارهاب وللانتهازية . وهذه الملايين الوطنية ، هي العروبة ، لان العروبة وجود وطني وتخلق ويتخلق من خلال النضال ضد الاستعمار والتخلف والمنصرية والارهاب والانتهازية . وهذه الملايين العربية سارت وراء جمال دون تردد منذ ان سمعت صوته لأول مرة عام ١٩٥٣ وهو يتحدث عن وحدة النضال العربي ضد الاستعمار واسرائيل وضد الفقر والاستغلال والتخلف الاقتصادي والثقافي والروحي . ظلت هذه الملايين تسير وراء جمال عبد الناصر في معاركه ومعاركها الكثيرة ، ضد احتكار السلاح وضد مراكز السيطرة الاقتصادية الاستعمارية في اقطار وطننا كمنسأة السويس والبنزول وضد عدوان ١٩٥٦ وضد النزول الامريكى البريطانى في لبنان والاردن عام ١٩٥٨ وضد اعداء الوحدة العربية وضد حلف بغداد وضد الاستعمار الفرنسى في الجزائر وضد الانفصاليين وضد اعداء ثورة اليمن ، وفي اثناء هذا كله ضد الصهيونية واسرائيل ومن يدعمونها بالسلاح والمال والخبرة العلمية .

عشرات الملايين من ابناء الشعب العربي في كل اقطارهم ساروا وراء جمال عبد الناصر في كل هذه المعارك لكي يمنحوا لفكر عبد الناصر الثوري كيانه المادي ، لكي يجعلوا للعروبة الوطنية التقدمية وجودا واقميا حقيقيا ، ولكي يجعلوا القومية العربية مجسدة حقا في ملايين البشر المؤمنين بانتمائهم اليها قبل ان يتوحدوا سياسيا في دولة واحدة .

اما السموم والقذو والنفاق فقد صدرت عن الطبقات المتواطئة مع الاستعمار والمعادية اصلا لفكرة العروبة والقومية العربية ، لانها الطبقات المعادية اصلا للثورة الوطنية العربية التي قادها جمال عبد الناصر حينما كان يقود جماهيرها الثورية .

وحينما يقول نزار قباني :

انادي عليك .. ابا خالد

واعرف اني انادي بواد

واعرف انك لن تستجيب

وان الخوارق ليست تعاد

فان الشاعر العربي - الذي تعود ان يكون لسان حال للانفصاليين احيانا ، وللشامتين في هزيمتنا احيانا اخرى ولمدعي الحكمة ممن الثوريين الجدد احيانا ثالثة - يتفق اتفقا كاملا مع وجهة النظر الاستعمارية التي قالت ان الفراغ الذي احده موت عبد الناصر لن

يملاؤه احد ، ولم يكونوا يفكرون كعادتهم في جماهير الشعب العربي العاملة التي ملأت الفراغ وحولت المعجزة الى فانون مسنم . ان المعجزة او الخارقة التي حققتها ثورة عبد الناصر هي توحيد هدف النضال الثوري لكل جماهير الثورة العربية ، هدف القضاء على الاستعمار القديم والجديد ثم القضاء على عملائه والتصرف في ساحة النضال بذكاء ثوري لا يسمح بتبديد اي طاقة تخدم اهدافه العاجلة او البعيدة المدى . وبذلك تجسدت معجزة ثورة عبد الناصر - يوم جنازته نفسها . كانت الجماهير تهتف وهي تبكي «هنكمل المشوار» . ان الخوارق ليست تعاد حقا . ولكن الفكر المتخلف الذي تمثله قصيدة نزار الرديئة لا يعرف شيئا عن الثورة ولا عن جماهيرها . قصاراه ان يتوهم في الانقلابات صورة الثورة . وهو لا يرى في الجماهير سوى حشود من الفوضى . ولكن هذه الجماهير الثورية التي تعلمت من قائدها ان لا يبدل للنضال حتى النصر سوى الاستسلام حتى الفناء كانت قد قررت ان تحيل الخارقة الى قانون والاستثناء الى قاعدة ، فملأت بنفسها الفراغ الذي خلفه الانتهاك المادي لحياة زعيمها .

وحينما يقول نزار قباني :

فنحن شعوب من الجاهلية

ونحن النقلب ، نحن التذبذب ، والباطنية

نباع اربابنا في الصباح

وناكلهم حين تأتي العشية

حينما يقول نزار قباني هذا الكلام فانه يكشف عجزه عن فهم المعنى الذي ابرزه عبد الناصر بكلمة «الشعب العربي» ذاتها . ان التذبذب والنقلب والباطنية لم تكن هي صفات الشعب العربي السوري مثلا يوم الانفصال المشؤوم حين خرج هذا الشعب في حلب ودمشق ودرعا واللاذقية وغيرها من المدن السورية يقاوم دبابات الانفصال . ولم تكن هذه هي صفات الشعب العربي في طرابلس ليبيا حينما (أى عبد الناصر على ارض مدينته او الشعب العربي في خرطوم السودان حينما واجه اعداء الثورة الوطنية العربية قبيل مؤتمر الخرطوم او الشعب العربي في لبنان الذي ضرب بالسلاح محاولة طعن الوحدة في ظهرها وطعن الثورة الوطنية في العراق عشية انفجارها . التذبذب والنقلب والباطنية هي صفات الطبقات المستغلة المتواطئة بأحزابها وحكوماتها مع الاستعمار ، والتي اكرهتها قوى الشعب العربي الثورية على مداراة تواطنها وعمالته للاستعمار والتي كانت تتحين الفرص للانقضاض على الثورة العربية وعلى جماهيرها التي قادها عبد الناصر . نزار قباني يطلق صفات طبقة معينة على الشعب العربي كله حتى يضيع «الشامي في المغربي» كما يقول المثل العامي ولا يعود احد يعرف من الذي تخلى عن الثورة الوطنية العربية التي قادها عبد الناصر ومن الذي كانت هذه الثورة تجسد حياته وأحلامه ونضاله جميعا .

... لقد كانت فلسطين والنضال الثوري العربي ضد الصهيونية هما البؤرة الأخيرة الدائمة التي تلاقحت عندها كل جماهير الثورة الوطنية العربية وتبلورت فيها كل اهدافها وتحددت مواقع قواها وقوى اعدائها . وبهذا المعنى وظروف تاريخية عديدة فإن النضال ضد الاستعمار الاستيطاني الاجلائي المنصري في فلسطين والذي يهدد بالامتداد الى الوطن العربي شرقا وغربا ويدعمه الاستعمار العالمي ، هذا النضال هو المعركة التي تنصهر في نيرانها الوحدة العربية والوجود القومي العربي على مستوى مسادي ومحسوس ... واعدائنا لا يريدون فرصة افضل من تفكك وحدة قوى الثورة العربية ووحدة الثوار الوطنيين العرب وارتياحهم بعضهم في البعض وفقدانهم لوحدة الارادة والقدره على توحيد العمل الثوري الوطني على المستويات السياسية والعسكرية .

ان حملات التشكيك والتفتيت التي يشنها الاعداء والاصدقاء

متهمين .. تصوروا متهمين !) (١)

هذا ما تقوله « الواحدة » في بداية المسرحية ، ولعل هذا ما يردده جهرا او سرا امتداداتها داخل المسرح او خارجه . اما بالنسبة لغالبية جمهور المسرحية ، فلم تر فيها ، أي المسرحية . اتهاما بل كشفا لا برحم عن الحقيقة .. حقيقة عالمنا المعاصر ، حيث الصراع يتعاطم باستمرار بين قوى الخير والنور والتقدم والسلام من ناحية ، وبين قوى الاستغلال والقهر والظلام من الناحية الأخرى . وعبر هذا الصراع نتكشف نظران للكون : وموفقان من الحياة ، واسلوبان : احدهما يعتمد الصدق والصراحة والحقيقة والخير للجميع ، اما الآخر فيتوسل بالكذب والمراوغة والزيف ويريد الخير له ، لنفسه فقط والشقاء والالام للآخرين . الاول يجسد كل ما في حياتنا الانسانية من خير منذ ان كانت على وجه الارض حياة ، اما الآخر فيجسد كل ما لافته هذه الانسانية المذبذبة من شرور ومظالم مسؤولة عن كل ما سكب من دموع وارباق من دماء .

« مسرحية » « الخرابة » مسرحية هادفة منحازة في كل كلمة من كلماتها ، في كل عبارة من عباراتها ، في كل حركة تبدر من شخصياتها . ولعلها من هذه الناحية لا تصيف جيدا الى مجموعة يوسف العاني المسرحية طيلة العقدين الماضيين ، ومع ذلك فهذه المسرحية جديدة لا على المسرح العراقي فحسب بل وعلى مسرح العاني نفسه ، في صفاء ودقة الرؤية وطبيعية وعيها لاهم قضايا عصرنا ، وفي شهوليتها ونجاحها في ابراز هوية الصراعات الرئيسية التي تنتظم عالمنا من افصاه الى افصاه ، وفي الكشف عن بواعثها ومنطلقاتها وفي ابراز معالم الاستقطاب في الحياة وتجسيد ذلك في موقفين متميزين متعارضين ومتناقضين .. لكل منهما هويته ومركزه .. اخلاقيته وسلوكيته .

ومنذ اللحظات الاولى تضمنا المسرحية وجها لوجه امام هذه الظاهرة الاستقطابية في الحياة .. ظاهرة مرة وقاسية ولكنها حقيقة يجب تشخيصها وادراكها ليسهل علينا بالتالي تحديد موقفنا منها ولتصبح عملية تحديد هذا الموقف مسألة ممكنة ومثمرة :

الاول والثاني اسمع

الاول والثاني شنو ؟ « ماذا ؟ »

الاول الجاي « الشاي »

الثاني شبيه ؟ « ماذا به ؟ »

الاول صار ساعتين ديفور ، وبعد ، الماي ، ماي مثل ما هو .. حفنة ونص حطيت جاي والمالي بعده ماي والجاي بعده جاي وستبقى هذه العزلة بين الماي - الماء - والجاي - الشاي - رمزا للتمايز والاستقطاب في الحياة .. سيبقى النور يصارع الظلام حتى يصرعه وسيبقى الخير يصارع الشر حتى يقضي عليه . وسيبقى هذا الصراع قائما ما بقيت هناك قوانين تسن لاضفاء الشرعية على من منع البعض بشمار جهود البعض الآخر .. ما بقي هناك مستقل (بكسر الفين) ومستقل (بفتحها) عاطل متخوم وكادح جوعان . وسيبقى « الجاي جاي والمالي ماي » ما بقي « الواحد » و« الواحدة » وامتداداتها على كذبهم ودسهم وسعيهم لاستغلال الآخرين وزرع الفتنة بينهم لتسهل سيطرتهم عليهم والتحكم في رقابهم . سيبقى هذا التمايز قائما ما اصر « الواحد » و« الواحدة » وامتثالهما على الكذب والتعدي والحرشة حتى تتمكن قوى الخير من اقتلاع الشر من جذوره ورميه مع اصحابه في مزبلة التاريخ .

الواحد : اكبر نقطة ضعف . واحسن فرصة الى اخش للخرابة

(١) « الخرابة » ص ٩ ، تأليف يوسف العاني ، منشورات الطريق

الجديد . بغداد . ١٩٧٠

المزيفون قد تجد تربة صالحة للنمو في النزعات الاقليمية التي تخفي وراء تظاهرها بالتمسك بمصالح المصريين وحدهم مثلا رغبة في التحلل من التزامات المعركة القومية التي يتوقف عليها مصير الشعب العربي في مصر ذاتها بقدر ما يتوقف عليها مصير الشعب العربي في كل اقطاره وعلى كل جبهات وجوده . وهذه النزعات الاقليمية التي قد تتخفى وراء شعارات وطنية او اجتماعية او دينية برافة لا يقضيها سوى تضخم مصالح الطبقات المستغلة من ناحية وحرمان الجماهير من مصادر الوعي السياسي الوطني والقومي الذي لا يدعمه سوى تحقيق المصالح الحقيقية لهذه الجماهير نفسها ..

في ليلة واحدة استعادت جماهير الشعب العربي في كل اقطاره توازنها بعد فقد جمال عبد الناصر . ولكن ليس من مصلحة الاعداء والاصدقاء المزيفين ان يستمر احرار الشعب العربي على مواصلة ثورته الوطنية القومية والاجتماعية والثقافية . وليس امام هؤلاء من سلاح اولي سوى التشكيك في المعنى الثوري « للعروبة » وسوى التشكيك في قدرة القوى الثورية العربية على توحيد صفوفها وعلى حمل هذه القوى على الارتياح في قيمة وحدتها ، اي في قيمة عروبة الثورة الوطنية مقابل التمسك باقليمية هذه الثورة التي لن تكون نورة بعد اذا تخلت عن بعدها القومي وانحصرت داخل نطاق الاقليمية الضيق ، واذا فقدت الارتباط بين الثورة التحريرية الوطنية والثورة الاجتماعية التي تحقق للعروبة معناها الرئيسي : فالعروبة تصنع في نضال الجماهير الثورية من اجل الحرية والعدالة والتقدم والرخاء والسلام . وهذا هو المعنى الذي عاش من اجله عبد الناصر ، واستشهد من اجله ايضا .

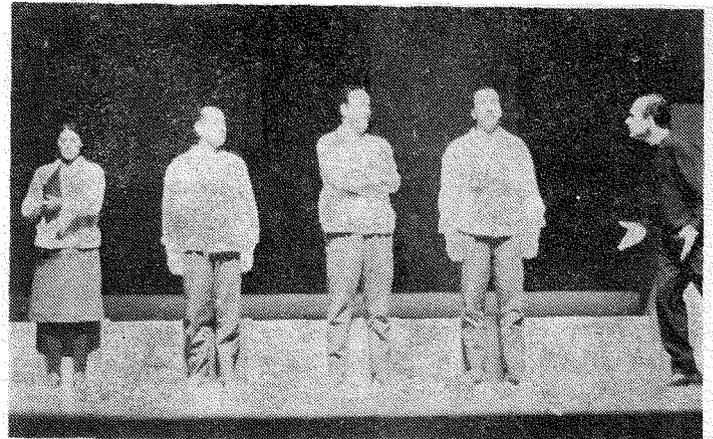
سامي خشبة

القاهرة

العراق

الرؤيا الواعية في مسرحية « الخرابة »

بقلم الدكتور جميل نصيف التكريتي



الواحد مع الاول (كريم عواد) والثاني (فاروق فياض) والثالث (يوسف العاني) والرابع (ناهدة الرماح)

« احنة جينه د نشوف مسرحية ونضحك ونتونس .. لو جينه نسمع خطبة جافة ونصايح نغز كانهما احنة ناس جهلة ، متخلفين ، او

ويهمون ثم يفنون صفا واحدا متحدين سكان الجانب الآخر من العالم المتمثل بـ « الواحد » و « الواحدة » ..

الثلاثة : انتو الكاعدين وره الحايط الرابع المشيول . هذا الواحد اللي يريد يجي ، خلي يجي لا يظل يتفرج مثل الحرامي .. يجي بس بشرط واحد : جذب ما يجذب ، حرشما يتحرش .. نعدى ما يسوي .. وبيه خير ويسأل .. احنه منتظرين !

غير ان الواحد لا يوافق على ذلك ، فهو لا يستطيع ان يتصور نفسه بلا كذب ، بلا حرشة بلا نعدى . واذا ما استشعر خطرا فديجول بيته وبين مزاولة امتيازاته العريضة عليه هذه استنقات واستنجد . استنقر فوى الظلام من امثاله : « سوولي جارة ، آتسي منورط » . بالضبط كما استشعرت حكومة برينيداد العميلة مؤخر اليب غصب الشعب المسحوق فاستنجدت بقوى الظلام المتمثلة باسمايل امريكسا وانجلترا لسحق فوى الثورة .. لسحق تطلعات شعب ترينيداد للنور والحياة الكريمة ..

الصدق والكذب ، العدل والظلم ، الخير والشر كلمات هائمة وضعت للدلالة على معان تبقى مجردة ما لم تترجم الى واقع ملموس .. الى عمل محدد .. وخلال ترجمتها الى هذا الواقع غالبا ما يتقلب الابيض اسود والنهار ليلا ويجعل من الفضيلة رذيلة ومن البطولة خيانة ومن الشهامة نذالة .

وعندما نسمى لتسمية الابيض ابيض والاسود اسود .. وان نجرا البعض على تسمية الشر باسمه الكريه اصطدم حتما بارادة من نوع اخر ، ارادة تسمى جاهدة لتزييف التاريخ وقلب الحقائق . فالفاتح يسمى نفسه محررا والغازي منقذا والمستغل شريكا .

في كل مجتمع طبقي هناك حقيقتان ، واكمل مصطلح معينان ، وللعلمة وجهان وللسلح حدان .. فالسجون وجدت ظاهرا للمجرمين واللصوص غير انها غالبا ما تضم حملة لواء الحقيقة بين جدرانها الرهيبة في كل مجتمع طبقي ، ظالم ومظلوم ، حاكم ومحكوم ، مستغل ومستغل مضطهد ومضطهد . والا لزال الصفة الطبقي عنه . والقول بضرورة التمايز الطبقي بحد ذاته انحياز الى جانب الظلم ضد المظلوم ، الحاكم ضد المحكوم ، والمتخوم ضد الجائع ، العاقل ضد الكادح . فخير الاول شر للثاني وسعادته على حساب شقائه وصحته على حساب مرضه وشبعه على حساب جوعه .

لقد كانت « الخرابة » جديدة تماما على جمهور المسرح العرافي ، فكان طبيعيا ان تثير ارتباكا وحيرة ، ذلك لانه اعتاد على ان يشاهد مسرحيات تتكون من شخصيات محددة المعالم لها ارتباطاتها الاجتماعية . واطرها التاريخية المحددة ايضا تجسد له حدنا موحدا متناميا .. شخصيات تجد نفسها في موقف .. وضعية تتقلب عليها وتخطاها الى وضعية اخرى وثالثة ورابعة تعمل كلها على الكشف عن هوية هذه الشخصية او الشخصيات ، ومن مجرى هذا التابع السببي للوضعيات يتكامل نسيج الحكمة .. ينتقل بنا المؤلف من ازمة الى ازمة حتى تبلغ المسرحية بنا ذروتها لتتحل بحكمتها (عقدها) وليعاد توزيع القوى وليتم اعادة النظر بكل القيم التي تعرفنا عليها خلال الوضعيات والمواقف المبكرة وليتم التحول النهائي من النقيض الى النقيض كما يقول ارسطو . لقد عودت المسرحية التقليدية المشاهد العرافي على كل هذا بينما لم تلزم مسرحية « الخرابة » نفسها بشيء منه .. كادت تكون بلا صراع تقليدي يلازم نموه نمو الحدث نفسه .. ذلك لان « الخرابة » لا تتعامل مع حدث تقليدي .. وبالتالي لم تتعامل مع شخصية تقليدية ، واخيرا لم يكن فيها تابع نسبي لوضعياتها ولا لنمو اي من مقوماتها سواء منها ما يتعلق بالحدث او بالشخصية . ومن هنا الحيرة والارتباك اللذان كانا حصيلة البعض من مشاهدتهم لمسرحية « الخرابة » .



الواحدة (زينب) مع الواحد (روميو يوسف)

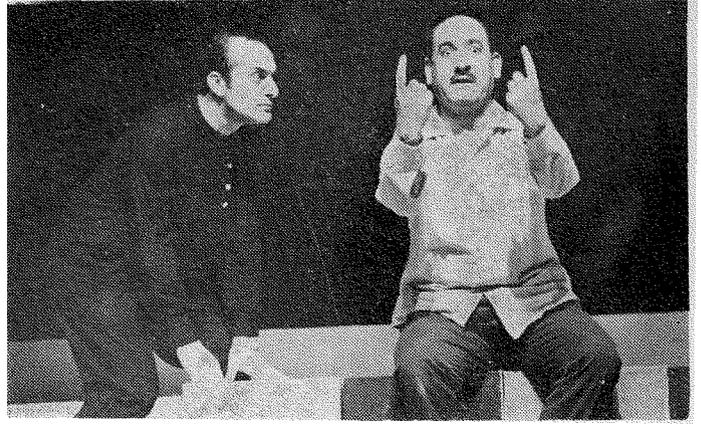
نتفرج عليهم ونسمع منهم ، واذا ما يحجون نحجهم ونورطهم .. ونشوف بعدين ياهو احسن .. خرابتهم لو احنة اللي همه يكلون علينا .. احنا الخرابة .. بس خلنتركهم يتعاركون بعد .. حتى مهمتنا بصير كلش سهلة (ينظر الى الجهة التي كانت فيها الواحدة) . بس وين المدموزيل . مدموزيل دنتفرجين ؟

الواحدة : دا أتفرج .. بس ما مرناحة .. اريدهم يتعاركون اكثر .. يختلفون اكثر ، حاول تخليهم يتقاتلون بوحشية .. كوالهم هاي بطولة ، هذي امجاد وبعدين .. اريدك تبهدلهم واحد واحد . (الخرابة . ص ١٧)

وحيشما تكون الحياة في اي زاوية من زوايا كوكبنا الجميل ، يكون هناك عالمان من : الصدق والكذب ، من الخير والشر ، من الحقيقة والزيغ ، من النور والظلمة ، فالصدق والخير والحقيقة اخلافة حياتية تترجم الانتماء الاجتماعي لعلتها ، كما ان الكذب والشر والزيغ هي الاخرى كذلك اخلافة تحدد بدورها الانتماء الاجتماعي لعلتها . فلا صدق بلا حياة يتناسب منها محتواه الاجتماعي وكذلك قل مع اي صفة من الصفات الاخرى الايجابي منها والسلبي .

هناك في القمر « ماكو صدك وجذب .. حياة ماكو » الحياة على الارض .. ومعها الخير والشر .. معها « فنبال نمسح مدن بكاملها » هذا من ناجية غير انه من الناحية الاخرى هناك « مي غزير ينمش الكاع وتخضر السنابل » عالمان احدهما يصنع الظلم والاخر يحاول ، رغم الظلم الذي يتعرض له ، ان يصنع الحياة والخير . هناك « حس طبل ومزيفة وانين د يتزوجون » غير ان هناك « طفل يجي ضيغ امه ، خبصة والآلاف د يعبرون النهر والجسر مهدم والنار ناكل بيونهم » ووراء هذا الشر « اشكال غريبة مثل القربان بدلت الابيض اسود .. سحكت الورد وكعدت بنص بساين البرتقال والزيتون » و « البرتقال صار حصو .. والزيتون انكلب نيدور » الا ان فوى الخير حملة راية الحقيقة في هذا العالم لم تستسلم ، تحولت الى « وجوه بس عيون .. روس ملفوفة بيشامع حمر .. بمشون علعوسج بنكلب العوسج حنطة . دمهم يسيل عالصخر .. يتفجر بمكانه نبوع ماي » . على هذا المنوال تسير المسرحية ونمو فتقدم شكلا جديدا من اشكال التعارض في الحياة في كل مشهد جديد وفي كل موقف وفي كل لوحة .

الثلاثة (الاول والثاني والثالث) رموز للحقيقة الانسانية فسى الحياة ، وحملة رايتها يجسدون لنا كل قوى الخير ماضيا وحاضرا ، يتوقون للنور ، يسعون للسلام يتمنون الخير لانفسهم وللآخرين ، يحملون الماء والخضرة ، بالبرتقال والزيتون . الثلاثة يتكاتفون



الواحد (روميو يوسف) مع الثالث (يوسف العاني)

والثاني كذلك فكرة مجردة .. حقيقة من حقائق هذا الكون .. غير انه عندما بعث فيه شخصية لعبيبي وزوجته سكينه .. نرى امامنا فلاحا عراقيا : بلغته وهمومه وملابسه وكفاحيته - في مفارغته لمبادئ الافطاح وصموده كالطرد امام بطشه وجبرونه . اما الثالث فقد استحال الى الفكرة - الرمز بمجرد ان دخل المسرح ولما تزل اصدااء الاطفال الذين لاحقوه تتردد في اسماعنا .. وعندما بعث شخصية غنية بعث فيه ايضا شخصية حساني الفقير المسحوق ولكنه الطيب .

وغنية هي الاخرى شخصية محددة وحيوية قبل ان تدخل المسرح فتتحول الى فكرة ، الى حقيقة من حقائق هذا الكون ، وناخذ سلسلها الرابع بين الاخرين - الحقائق ولم بعد غنية بعينها او غنية بذاتها .. بل جزءا من كل و« اكثر من واحد » في نفس الوقت .

فالرؤيا التي نقدمها لنا مسرحية « الخرابة » عن العالم تتلخص في ان الحياة كانت وما تزال حصيلة الصراع الابدي بين قوتين متعارضتين متناقضتين : واحدة تصنع الشر وكل المظالم والاخرى تكون غرضا لهذا الشر وهذه المظالم ولكنها تعمل دائبة على درئه والتخلص منه محاولة عبر ذلك اشاعة الخير والعدل والمحبة والسلام .

نبدأ المسرحية بالفكرة ، بالرمز وتعود بنا الى الحياة عن طريق بعثها ، استحضارها حاضرا وماضيا . وبهذا المعنى كانت مسرحية « الخرابة » امانة على نفسها محافظة على وحدتها ومنطقها فالاول فكرة وكرمز تجسيد لاكثر من شهيد من شهداء الحرية في العالم : انه مع الخير ضد الشر ، مع الكادحين ضد جلاذيتهم ، مع السلم ضد الحرب ، مع الصدق ضد الزيف . وهكذا كانت كل الشخصيات التي يعتبر الثاني في امتداداتها : لعبيبي وبوشكيين وبابلونيرودا وكوران والرفافي وغيرهم .

من بين الامور التي يتعمل بها المستأون من مسرحية « الخرابة » ان اي مشهد من المشاهد « الاستحضارية » اي استحضار الحياة الماضية لاحدى الشخصيات الثلاثة - الرموز يمكن ان يستعاض عنه باي مشهد اخر وذلك لافتقار هذه المشاهد الى رابطة سببية تجعل على حد زعمهم من تتابعها امرا منطقيا او حتى حتميا . وهذا الاعتراض وارد ومردود في آن واحد . فالاقتراض وارد لانه من الناحية العملية يمكننا فعلا ان نستعاض عن اي لوحة باخرى .. ان نضع اللوحة التي تمثل لعبيبي مكان تلك التي تمثل الحاج نجم البكال والعكس . ان نجعل « الاول » امتدادا الى لعبيبي لا الى الحاج نجم البكال والعكس نجعل الثاني امتدادا الى الحاج نجم البكال بدلا من لعبيبي او اي من الشراء . بل يمكن ان نذهب الى ابعد من ذلك فنجعل كلا من الاول والثاني والثالث والرابع امتدادات لشخصيات او ذوات اسم تات المسرحية على ذكر لها ، ونستغني عن تلك اللوحات التي تقدمها لنا في شكلها الحالي لكن مع شرط واحد هو ان نحافظ على العلاقة والرابطة الذهنية والفكرية والاخلاقية التي جعلت من كل من « الاربعة » امتدادات لهذه الشخصيات بالذات .

ولنضرب على ذلك امثلة من مسرحية « الخرابة »: يمكن ان نضع الاول مكان الثاني والثاني مكان الثالث والثالث مكان الاول دون ان تختل المسرحية ودون ان يؤثر ذلك على سيرها او فكرتها بشرط ان يكون الاول امتدادا للعبيبي لا للسركال والثاني امتدادا للحاج نجسم البكال وليس لاحد القادة الانجليز .

وامتدادا لبروتس لا ليوليوس فيصر . هذا هو الشرط الذي لا غنى لنا عن مراعاته والا لم نبق امامنا مسرحية ، وبمراعاته فقط يمكن ان نحافظ على الخط الفاصل دائما بين هاتين القوتين المتعارضتين المتناقضتين في العالم والا اختلطت علينا الامور وهذا ما ترفض ان تقع فيه المسرحية وما كان لها ان تقع فيه . وقياسا على ذلك يمكن ان نقول الشيء نفسه عن الخط الآخر - خط « الواحد » و« الواحد ».

فهل تتوفر في مسرحية « الخرابة » الوحدة التي لا غنى لاي عمل ادبي وفني عنها ؟ نعم تتوفر لها مثل هذه الوحدة لكن لا في الموضوع او الحدث التقليدي بل في فكرتها ، في تصورنا للعالم ، في هذا العالم الفكري والاخلاقي الذي نتعرف عليه ونحن نقرأها او نشاهدها .

لقد افترضت مسرحية « الخرابة » في جمهورها القدرة على اكتشاف الروابط الموضوعية التي تربط « الاول » بكل من الحاج نجم البكال وبالممثل عبدالله وبشخصية بروتس التي مثلها ، وفي الجوائز ساد او اعقب ذلك التمثيل وبالسقا والمعلم والسائق والملا وغيرهم وغيرهم وذلك في عوالمهم الفكرية والذهنية والخلفية .. في موقفهم من هذا العالم .. لقد كانوا ظلا واحدا بالفعل كما صورهم المسرحية .

وكذلك الحال قل عن « الثاني » والاصول التي يعتبر امتدادا لها وعن « الثالث » وامتداداته ... و « الواحدة » وامتداداتها الى عشرات عبر المحامية - الكابوبوز الامريكية - و « الواحد » وامتداداته مع عملاء الشر فهو مجرد دمية في هذه السلسلة الطويلة التي تنتظم وفي قوى الشر والعدوان وعن طريقهم يتم امرار كسل المخططات وتبييت كل المؤامرات .

ومن اجل ان نواكب الثلاثة « الاول والثاني والثالث » وتفاعل معهم علينا ان ننقل الى اللامكان والالزمان .. الى عالم الحقيقة المجردة التي يمثلها هؤلاء الثلاثة . شخصيات بلا ذوات ، بلا صفات مميزة . ملابسهم واحدة ، تفكيرهم واحد ، بلا حتى اسماء .. رموز نتحرك وتتكلم .. اي من هؤلاء « الثلاثة » اكثر من واحد وكلهم ، مجتمعين ، يكونون واحدا في تمثيله للحقيقة .. واحدا اليوم وامس في الحاضر والماضي القريب والبعيد .. والتقلب على الصعوبات التي تفرضها طبيعة مثل هذا التناول رأينا المؤلف يوفق بين التجريد الذهني كاسلوب في رسم الشخصيات - الافكار ، وبين الالتزام بمبدأ نمذجة الشخصيات وذلك في المحافظة على اظهار خصائصها الذاتية وارتباطاتها بالواقع الموضوعي دون ان يسمح لذلك بالتأثير على خط المسرحية العام على الاغلب .

لقد كان الاول والثاني والثالث انماط .. افكارا مجردة، رموزا تتحرك وهم على خشبة المسرح ، ولكن بمجرد ان يعودوا الى اصولهم التي هم امتدادات لها نتعرف عندئذ على شخصيات معينة لها خصائصها الذاتية وتميش واقعا اجتماعيا محمدا . فالاول - فكرة مجردة ، هائمة معلقة كالرقم الذي اتخذته اسما لها والطيبة والصدق والحقيقة التي يعبر عنها ويسعى لها ويستमित بالدفاع عنها .. غير ان جذوره وارتباطاته تعود به الى الحاج نجم البكال .. ابن ثورة العشرين .. شخصية حية ذات خصائص ذاتية محددة .

اشولنو : ماذا تبغين مني ...؟

الم تخبز امي فاكل منها .. حتى اكل طعام اللعنة والعار ؟
وهنا تنهار عشتروت . فستتجد بابيها ليعينها على جلجامش
واشولنو رمز الوعي والارادة الخيرة والصمود . ان قول جلجامش
الحقيقة تعتبره عشتروت اهانة ومسبة واعتداء فتنتقل التهديدات من
بين شفيتها كالحجم :

عشتروت : ابي ان جلجامش فد عزرتني واهانني

لقد سبني وعيرني بهانني وشروني

فاذا لم تخلق لي الثور السماوي فلاحظن باب العالمسم
الاسفل ،

وافتحه على مصراعيه واجعلل الموتى يقومون
فياكلون الاحياء .

وفي نفس الوقت الذي تتسحب فيه عشتروت وهي تردد :
(يصبح الاموات اكثر من الاحياء) ، تدخل المحامية التي تجسد لنسا
اخر ما وصلت اليه اخلاقية الامبريالية الامريكية مرددة نفس العبارة ..
وبهذه الصورة تجسد لنا مسرحية ((الخربة)) العلاقة الروحية بين
صانعي الظلام اليوم وصانعيه في امس القريب والبعيد وكشفت عن
انتهاهم الى عالم واحد واخلاقية واحدة وسلوك واحد .

وعندما تصل بنا محاكمة التاريخ لسعادة ((امريكا)) المزيفة الى
عرض مأساة الانسان في كل من فيننام وفلسطين وعندما تتعاقب امام
المشاهدين مواكب الفدائيين والفيتكونك يكون حماس الجمهور قد
بلغ ذرى جديدة تماما على المسرح العراقي لم يبق معه سوى كنس
صناع الظلام مع عملاتهم الى مزيلة التاريخ .

فليس غريبا ان يرفع البعض عقيرتهم مذكرين بحرم الفن المقدس
وضرورة الارتفاع به عن مستوى المخاطبة المباشرة على حد زعمهم وردنا
عليهم ناخذهم من المسرحية نفسها ونهمس في آذانهم ((الفن فن .. بس
الفن للناس)) وانسوا رجاء صراخ صاحبكم ((الواحد)) وهو يقول : (يا
يا به .. هم راح يهودوني للسياسة) !

ايها السادة : لقد جاءت دعوتكم متاخرة . سلوا سلفكم الصالح .
الم يجعل من الفن سلاحا لتهديم فلاح الاقطاع . هل التفت سلفكم
الصالح جدا الى صراخ الاقطاعيين الداعي الى الاخذ بنظرية الفن للفن
فلماذا اذا تنكرون على جماهير الشعب الكادح وطلانها الثورية ايمانها
بان الفن يكتسب قيمته الوحيدة من هذا السلاح الذي يضمه تحت
نصرف الجماهير الكادحة المسحوقة تستخدمه في صراخها ضد
مضطهديها .. ضد قتلها ومصاصي دمانها ؟ سلاحا بيد الفيتناميين
ضد قلول الغزو الامريكي وعملاتهم سلاحا بيد الفدائيين ضد الصهيونيين
اشد عملاء امريكا شراسة وخطرا في الوقت الحاضر .

لقد وفرت لنا المسرحية ونحن نشاهدها متعة بالغة وانارت فينا
حماسا نبيلاً لقضية الشعوب وحقدا مقدسا على اعدائها .. فان تدعوا
انها كانت عاجزة عن ان تشير فيكم الشيء نفسه فدوتكم الافيون ..
اغرقوا فيه حواسكم وانسوا عالمكم فهذا عين ما يريد منكم الاستعمار
واعداء البشرية .

وتحية الى الاستاذ المؤلف المسرحي يوسف العاني .. والى فرقة
المسرح الفني الحديث بما جادوا به علينا من فن وابداع واخلاق
وانارة حية .. نحن نتطلع اليهم بالزيد منها .. والى لقاء قريب كما
نرجو . ومواسم حافلة بالخصب والنجاح والتقدم .

جميل التكريتي

بغداد

اكاديمية الفنون بجامعة بغداد

فالواحد لا يمكن ان يكون الا امتدادا لاحد القادة الانجليز
فيتقمص شخصيته ويغير من هيئته وحركاته ما ينسجم والدور الجديد
الذي هو امتداد له . اما ((الواحدة)) فهي امتداد للمحامية الامريكية
الكاوبوز . والمحامية هذه حفيذة امينة لعشتروت . فكما ان عشتروت
استغلت مفاتن جسدها وعهدا لاستدراج ضحاياها وايقاعهم فسي
افخاها تستغل امريكا هي الاخرى كل عهدا الحضاري لاستدراج
العملاء الذين تستخدمهم في فرض سيطرتها وتأمين اطعامها الجشعة .
المحامية : (موجهة حديثها الى الاربعة) : خطأ كل رأيكم خطأ .
تنساقون وره اراء غريبة .. هدامة .. وبعوفون النعيم .. النعيم
اللي اكدر او فر لكمياه .. السعادة اللي نعيمشون بيها دائما .. نرف ..
مرح .. ونسه .. تنعموا بالحياة ، ولا تباعون لا يمئة ولا يسرة . باوعوا
على انفسكم بس .. اتركوا التفكير بالآخرين .. الاخرين رعا . كان لازم
البشرية تتخلص منهم حتى نرتاح .. ويصبح العالم ، عالمنا احنه ..
شوفوا لعاباتي شوفوهم شلون سعداء .

الدمى : (يضحكون ويرقصون)

المحامية : صيروا مثلهم . ايدوني وتعالوا اخلي الفي يفتيكم ..
والحرير يفركم . تعالوا .. تعالوا .

ارتعوا في احضان عالي السعيد .. شتكلون ؟

الاربعة : التاريخ .. يا ايها السعادة المزيفة هو الذي برد .

ويرد التاريخ فعلا .. ويخرج علينا جلجامش من اعماق التاريخ
ومعه انكيدو ثم عشتروت ينقلون الينا حكمة التاريخ الخالدة .. واذا
بها هي هي .

عشتروت : جلجامش .. تعال يا جلجامش وكن عريسي وحببي

وهيني نمرتك اتمتع بها ..

كن زوجي واكون زوجك ..

ساعدك مركبة من حجر اللزورد والذهب

عجلاتها من الذهب وقرونها من البرونز

واذا دخلت بيتنا فستقبل قدميك العتية والدكة

ستتحنني لك الملوك والحكام والامراء

وسيقدمون لك الاناوة من نتاج الجبل والسهل

غير ان جلجامش لم يتخضع .. انهارت امام صهوده ووعيه كسل
مفريات عشتروت .

جلجامش : اي خير سأناله لو تزوجتك

انت

ما انت الا الموقد الذي تخمد ناره في البرد

انت قصر يتحطم في داخله الابطال

انت قير يلوث من يحملة ، وفربه نبال حاملها

... ..

اي من عشاقك من بقيت على حبه ابدا ؟

... ..

لقد احببت طير الشمرقاق المرقش

ولكنك ضربته بعصاك وكسرت جناحه

... ..

واحببت الاسد الكامل القوة

ولكنك حفرت للايقاع به - سبع حفر

واحببت الحصان المجلى في البراز والسباق

ولكنك سلطت عليه السوط والمهراز والسير

... .. الخ

وتلقت الى ((اشولنو))

عشتروت : تعال الي يا حبيبي ((اشولنو)) ودعنا نذق متعة رجولتك .
مد يدك والمس مفاتن جسدي .